الدور الاقتصادي والسياسي للقاضي سعد الدين بن غراب

(.....-٨٠٨هـ /....-١٤٠٥م)

أ.م .د. عفاف عبد الجبار عبد الحميد
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
قسم التاريخ

ملخص :

القاضي سعد الدين بن غراب هو احدى الشخصيات المهمة التي كان لها دور ملحوظ من الناحية السياسية والإدارية والاقتصادية في دولة المماليك الجراكسة في عهد السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤هـ – ٨٠١هـ / ١٣٨٢م – ١٣٩٨ م)، وابنه السلطان الناصر فرج (٨٠١هـ – ٨١٥هـ / ١٣٩٨م – ١٤١٢ م).

فهو أحد أولاد الكتبة الأقباط الذي استطاع بفضل ذكائه وطموحه وكفاءته العالية من تولي المناصب المرموقة في الدولة، فولاه السلطان الظاهر برقوق في صفر سنة (٧٩٨هـ / ١٣٩٥ م) وظيفة نظر الديوان المفرد، ومهمة متوليها توزيع نفقة المماليك والجامكيات والكسوة والعليق، ولشدة براعته وإتقانه لعمله فقد أضاف اليه السلطان الظاهر وظيفتي نظر الخاص ، والجيش بعد فترة وجيزة من توليه وظيفة نظر الديوان المفرد، كما وبلغت مكانة سعد الدين وثقة السلطان به ، بأن جعله احد الأوصياء على ابنه الناصر فرج سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٨ م).

ازداد اعتماد السلطان الناصر فرج على القاضي سعد الدين بن غراب فولاه وظيفة الاستادارية إضافة لما بيده من وظائف، ثم ولي بعدها وظيفة كاتب السر التي لم يبق فيها لمدة طويلة، وبالغ السلطان في إكرامه للقاضي سعد الدين فاغدق عليه الهدايا والخلع والألقاب في مناسبات عدة.

ونلحظ دور سعد الدين بن غراب على نحو واضح من خلال حرص السلطان الناصر على اللجوء اليه واستشارته اذا ما واجهته احدى المشاكل السياسية أو الاقتصادية التي يصعب عليه حلها ، لاسيما ما يتعلق منها بتوزيع النفقة على المماليك ، فيضطر سعد الدين في بعض الأحيان لمعالجة هذه

المشاكل بالإنفاق من ماله الخاص، أو الاقتراض من الأشخاص المقربين منه في أحيان أخرى ، لسد نفقات الدولة .

إضافة إلى أعماله السياسية والاقتصادية فان له العديد من أعمال البر التي قام بها بهدف الأجر والثواب ، ومشاركة أبناء بلده في محنهم ،لاسيما في وباء عام (٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م) ،التي أكسبته محبة عامة الناس، وبنائه للخانقاه ، والمدرسة اللتين حملتا اسمه ،لغرض نشر العلم والمعرفة .

المقدمة :

زخرت كتب التاريخ العربي الإسلامي بالعديد من الشخصيات المهمة التي برعت وتألقت في شتى المجالات فكان منهم المؤرخون والأدباء والعلماء. وكان لجهودهم دور كبير في وضع اللبنات الأساسية لتاريخ امتنا المشرق.

ولا يخفى ما لإصحاب القلم والفكر من دور ملحوظ في مساندة الخلفاء والسلاطين بالنصح والإرشاد فاعتمدوا عليهم في إدارة وتسيير شؤون الدولة المختلفة، ومن هنا جاءت أهمية هذه الشخصيات فأصبحت محط اهتمام المؤرخين والباحثين الذين تناولوها بالدراسة والبحث وسلطوا الضوء على جوانب حياتهم المختلفة.

ويعد القاضي سعد الدين بن غراب أحد هذه الشخصيات التي كان لها دور ملحوظ من الناحية الاقتصادية ، والسياسية في دولة المماليك الجراكسة. دفعه طموحه في الوصول للمناصب المرموقة بعدم الاكتفاء بما تولاه في عهد السلطان الظاهر برقوق، وإنما عمل بجد من اجل الوصول إلى ما هو افضل، فتمكن من تحقيق ذلك في عهد السلطان الناصر فرج ،بنصائحه التي كان يقدمها للسلطان، وإدارته لنفقات الدولة لا سيما النفقات الخاصة بالمماليك السلطانية التي حرص السلاطين المماليك على دفعها في وقتها لما يسببه

تأخيرها من فتن واضطرابات في الدولة ،فأصبح من الشخصيات المهمة آنذاك التي يشار لها بالبنان .

قسم البحث إلى مقدمة وخاتمة فضلا عن العديد من المباحث التي تناولت اسمه، ونسبه، وصفاته، والعصر الذي عاش فيه، ونشأته، والوظائف التي تولاها في عهد السلطان الظاهر برقوق فضلا عن الوظائف التي تولاها في عهد السلطان الناصر فرج ،وأخيرا مرضه ،ووفاته ،وإنجازاته.

اسمه ونسبه وكنيته:

هو إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب بن علم الدين بن شمس الدين الإسكندري المولد المصري الدار، والوفاة[١]، القبطي الأصل[٢]، فقد كان جده غراب من الكتبة الأقباط المقيمين في الإسكندرية[٣]، وتولى فيها وظائف عدة ثم اعلن إسلامه، فكان أول من اسلم من آبائه[٤]، فتم تعينه ناظراً لديوان الإسكندرية[٥]، واستمر بوظيفته حتى اتهم بموالاته للفرنج وإخباره لهم عن عورات المسلمين عند هجومهم على الإسكندرية[٦] عام (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)، فقام نائب الإسكندرية صلاح الدين خليل بن عرام[٧] بتوسيطه[٨] ،وعلقه قطعتين على باب رشيد[٩]، لإغلاقه باب الديوان أمام المقاتلين المسلمين الذين كان واجبهم مقاتلة الفرنج ومنعهم من دخول الإسكندرية واحتلالها، وبذلك تمكن الفرنج من التسلل إلى داخل البلد بعد ان وجدوها خالية من الجند. يقول ابن حجر: ((فلو فتح باب الديوان الذي على البلد لقاتلت المسلمون الفرنج من اعلى سورها ووجدوا ما يقوتهم بالأكل من نقل الشام[١٠])).

ولتفسير تصرف غراب بإغلاقه باب الديوان انقسم المؤرخون إلى قسميين، وجد القسم الأول انه أراد بتصرفه هذا منع التجار من نقل بضائعهم من الديوان إلى داخل المدينة حرصا منه كي لا تضيع الحقوق التي للديوان

عليها[١١]. أما القسم الثاني فقد اجزموا بانه كان على اتفاق مسبق مع الفرنج، ومع صاحب قبرص[١٢] الذي سبق وزار الإسكندرية متخفيا بهيئة التجار، وأقام عند غراب فترة وجيزة لمراقبة أحوال المدينة والاطلاع عليها[١٣]. والرواية الثانية أرجح وأقرب للتصديق فقد كان عليه فتح باب الديوان للسماح للجند بالدفاع عن المدينة وسد كافة الثغرات التي من الممكن أن يتسلل العدو منها بدلا من الخوف على حقوق الديوان التي هي بدون شك ستضيع في كلا الحالتين.

أما ابنه عبد الرزاق فقد ترقى في الوظائف[١٤] حتى ولي وظيفة نظر الإسكندرية[١٥] غير ان المنية عاجلته، وتوفي في نحو الثمانين[١٦] تاركا ولدين صغيرين هما أمجد أو ماجد كما ويسمى محمداً[١٧]، ويلقب بفخر الدين[١٨] وهو الأكبر، وإبراهيم الذي يكنى بسعد الدين[١٩]، وبأبن غراب نسبة إلى جده، والثانية أشهر من الأولى، وبها عرف بين الناس[٢٠].

صفاته:

وصفت المصادر القاضي سعد الدين بن غراب بأنه كان من أحسن الناس شكلا وأحلاهم منظرا[٢١]، شديد الزهو والعجب بنفسه، كريمٌ جوادٌ، يحب الانفراد بالرئاسة، مع تدين وتعفف عن القاذورات[٢٢].

ووصف أيضاً بانه كان وهاباً مفضالاً، رئيساً[٢٣]، نالته السعادة في أيام مباشرته لوظائف الدولة[٢٤]، وكان ميالاً إلى فعل الخير والتصدق على الناس[٢٥]، فكان يكرم كل من يقصده منذ ولي الوظائف الرفيعة في الدولة وحتى وفاته .يقول السخاوي: ((لم يدخل عليه مملوك من المماليك السلطانية كبيراً كان أم صغيراً إلا وسقاه السكر المذاب ثم يأخذ في قضاء حاجته))[٢٦]. وهذا دليل على فضله وسخائه وجوده لمن يقصده في أي حاجة من حوائج الدنيا وعلى حسن أخلاقه وطيب اصله.

وكان على معرفة تامة بأخلاق أهل الدولة[٢٧]، عارفاً باللغة التركية متقناً لها[٢٨]، إلا انه اتسم بالدهاء والمكر. يقول المقريزي: ((إلا انه كان غدارا لا يتوانى عن طلب عدوه، ولا يرضى من نكبته بدون إتلاف النفس، فكم ناطح كبشا وتل عرشا وعالج جبالا شامخة واقتلع دولا من أصولها الراسخة))[٢٩].

عصره :

تعد الحقبة التاريخية الممتدة بين نهاية القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي وبداية القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي هي الحقبة التي عاش فيها القاضي سعد الدين إبراهيم بن غراب، وعاصر خلالها عدداً من سلاطين المماليك ممن تولوا حكم البلاد المصرية، وكان لكل واحد منهم سياسته ونهجه الخاص الذي انفرد به عن غيره من السلاطين.

ففي الحقبة التي كان فيها سعد الدين بن غراب لا يزال فتياً كان السلطان الظاهر برقوق[٣٠] (٧٨٤هـ - ٨٠١هـ / ١٣٨٢م - ١٣٩٨م) يتولى حكم البلاد المصرية، وتعد هذه الفترة من الفترات التاريخية المهمة فقد كانت بداية لمرحلة جديدة من مراحل تاريخ البلاد المصرية تتمثل بانتهاء حكم دولة المماليك البحرية وبداية حكم دولة المماليك الجراكسة التي تعد امتداداً لما سبقها سياسياً ، وإداريا ،واقتصادياً ،واجتماعياً.

اتسم السلطان الظاهر برقوق بقدراته الكبيرة في إدارة البلاد فتمتعت البلاد المصرية أبان حكمه بفترة من الاستقرار السياسي، والاقتصادي ،والاجتماعي، والعسكري، فوضع حداً لمحاولات المماليك في التدخل بشؤون الدولة المختلفة، ومع هذا فقد واجهته بعض الصعاب والتحديات، ولاسيما في بداية حكمه تمثلت بحركة الاضطراب التي قادها كل من منطاش[٣١]، ويلبغا الناصري[٣٢] اللذان

نجحا في عزله من الحكم، وسجنه في مدينة الكرك[٣٣] عام[٣٤] (٧٩١هـ/١٣٨٩م).

وعلى الرغم من عزل السلطان الظاهر برقوق إلا أن الصراع بين منطاش ويلبغا لم ينته، وازدادت الأوضاع سوءا، فأضطر نائب الكرك لإطلاق سراح السلطان الظاهر برقوق للتخلص من هذه الأزمة[٣٥]، فتجمع حوله أهالي البلاد الشامية، وتمكن بمساعدتهم من هزيمة منطاش في المعركة المعروفة بشقحب[٣٦] عام (٧٩٢هـ/١٣٨٩م)، وبذلك تمكن من العودة ثانية لحكم البلاد المصرية[٣٧]، ولكن هذا لا يعني نهاية الفتن والاضطرابات، فقد شهدت البلاد بين آونة وأخرى قيام الحركات المناوئة للسلطان الظاهر كان من أبرزها الثورة التي قادها نوروز[٣٨] في البلاد الشامية[٣٩]. هذا فضلا عن الأخطار الخارجية التي واجهت البلاد في هذه الحقبة التاريخية والمتمثلة بخطر المغول بزعامة تيمورلنك[٤٠].

قام السلطان الظاهر برقوق قبل وفاته بتسمية ابنه فرج[٤١] ولياً للعهد، ولقب بالناصر، ونظراً لصغر سنه فقد وضع إلى جانبه مجلس وصاية يتولى إدارة شؤون البلاد حتى يصبح السلطان قادراً على إدارة البلاد بمفرده، وذلك عام[٤٢] (٨٠١هـ /١٣٩٨م).

استمر مجلس الوصاية إدارة البلاد حتى ربيع الأول من عام[٤٣] (٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) ، إذ طلب السلطان الناصر من الأمير الكبير[٤٤] ايتمش[٤٥] الموافقة على ترشيده أي أن يباشر أعماله وصلاحياته بنفسه دون وصاية من الأمير الكبير أو الاتابك[٤٦] الكبير[٤٧]، فاجتمع القضاة واعلنوا الموافقة على ترشيد السلطان رسمياً، وتولى السلطان الناصر فرج إدارة البلاد بمفرده[٤٨]، فأعترض الأمير تنم[٤٩] ثم انضم إليه الأمير ايتمش الذي سبق وأعلن موافقته على ترشيد السلطان، واعلنوا ثورتهم في بلاد الشام، ولكن السلطان الناصر

تمكن من إخماد الثورة والقضاء عليها[٥٠]. وما كادت هذه الثورة أن تنتهي حتى واجهت بلاد الشام خطراً جديداً ألا وهو خطر المغول بقيادة تيمورلنك الذي ألحق الدمار والخراب بالبلاد الشامية، فقام السلطان الناصر فرج بالتصدي له وطرد المغول من جميع البلاد الشامية[٥١].

وبعد فترة وجيزة تجدد الصراع الداخلي بين أمراء المماليك، وتجددت محاولاتهم للتمرد على السلطان المملوكي فأعلن كل من نوروز الحافظي وشيخ المحمودي[٥٢] الثورة عليه في بلاد الشام، وبعد ان ضاق السلطان الناصر فرج ذرعا بثورات المماليك المستمرة، وفشله في القضاء عليها، قرر الاستماع لنصيحة عدد من كبار رجال الدولة وعلى رأسهم سعد الدين بن غراب في الاختفاء عن أنظار الناس لفترة وجيزة[٥٣].

فكان على أمراء المماليك اختيار سلطان جديد للبلاد المصرية ، فوقع اختيارهم على عبد العزيز[٥٤] أخو السلطان الناصر ، ونظراً لصغر سنه فقد تم تعين الأمير بيبرس[٥٥] أتابكاً له ليتولى إدارة البلاد نيابة عن السلطان الجديد[٥٦].

وفي خضم هذه الأحداث الجديدة خاف الأمير يشبك الشعباني[٥٧] على مكانته، وامتيازاته التي كان يتمتع بها أيام السلطان الناصر فرج[٥٨] فبدأ بالقضاء على مناوئي السلطان الناصر وكشفهم، وفي الوقت نفسه بدا بالترتيب مع سعد الدين بن غراب على عودة السلطان الناصر من جديد لحكم البلاد المصرية[٥٩]، فعاد في الخامس من جمادى الأخرة عام(٨٠٨ هـ /١٤٠٥م)[٦٠]، وبعد فترة وجيزة من عودته إلى الحكم عادت من جديد محاولات الأمراء المماليك للتمرد على السلطان بزعامة كل من نوروز وشيخ المحمودي في البلاد الشامية[٦١]، التي كانت نتيجتها مقتل السلطان الناصر عام ٨١٥هـ /١٤١٢م أثناء محاولته القضاء على هذا التمرد[٦٢].

نستخلص من ذلك أن الأوضاع السياسية في عهد السلطان الظاهر برقوق لم تكن مستقرة بشكل تام، إلا أن خبرته التي اكتسبها من خلال خدمته لعدد من السلاطين، فضلا عما تميز به من الشدة والحزم مكنته من التعامل مع هذه الأوضاع، والقضاء على الفتن والاضطرابات التي واجهته.

أما الأوضاع السياسية في عهد السلطان الناصر فرج فقد كانت اكثر اضطراباً، أضف إلى ذلك ما رافقها من تدهور الأوضاع الاقتصادية ،وانخفاض قيمة الدينار المملوكي. وهذا يعود إلى عوامل عدة أهمها صغر سن السلطان، وافتقاره للخبرة السياسية، وعدم قدرته على معالجة مشاكله بحكمة، فاصبح ألعوبة بيد أمراء المماليك يحركونه كيفما يشاؤون، مما أوقعه بأخطاء كبيرة كلفته في النهاية حياته.

نشأته وابتداء أمره :

عاش سعد الدين بن غراب بعد وفاة والده تحت كنف أخيه الأكبر فخر الدين ماجد، وأتخذ من كتابة العرائض عملا له[٦٣]، وبقي على هذا الحال حتى شاءت الظروف أن يتعرف على محمود بن علي[٦٤] ناظر دار الضرب[٦٥] والمتجر في الإسكندرية[٦٦]، فالتحق سعد الدين بخدمته، وبدأ التدرب على الكتابة، التي أتقنها بسرعة كبيرة وجودة عالية، وسرعان ما اصبح من اقرب المقربين للأمير محمود بن علي لنباهته وحسن سيرته، فولاه النظر في خاص أمواله. فتمكن بذلك من الاطلاع على جميع أموره وخفاياه[٦٧].

ولكفاءة الأمير محمود بن علي في عمله ازداد اعتماد السلطان الظاهر عليه، وعينه استاداراً[٦٨] له في الثالث من جمادي الأولى عام ٧٩٠هـ /١٣٨٨م، ثم أضاف له مهمة مراقبة الوزير[٦٩] ، وناظر الخاص[٧٠] اللذان أكد عليهما بعدم مخالفة راي محمود الاستادار في جميع ما يرى فيه مصلحة

للبلاد[٧١]، هذا فضلاً عن أعماله السابقة التي أبقاه عليها، وبسبب عمله الجديد انتقل محمود بن علي إلى القاهرة مصطحباً معه افضل أعوانه وكتابه، وكان من بينهم سعد الدين بن غراب[٧٢] الذي استطاع خلال فترة وجيزة من تعلم اللغة التركية وإجادتها ،فمكنه ذلك من التقرب إلى المماليك السلطانية ،وكسب ودهم وثقتهم[٧٣].

وبعد أن نضج ابن غراب وبلغ مبلغ الرجال تاقت نفسه إلى الرئاسة، فكتم ذلك خشية من أستاذه محمود الاستادار[٧٤]، واستمر بالعمل في خدمته حتى غضب عليه محمود الاستادار لإمر بدا له منه في ماله فخاف منه ابن غراب[٧٥]، ولجأ إلى والي القاهرة[٧٦] ابن الطبلاوي[٧٧]، الذي كان من اقرب الأشخاص للسلطان الظاهر[٧٨]. يقول المقريزي : ((فلما كبر وبلغ مبلغ الرجال سمت نفسه إلى الرئاسة، ورأى انه يبدأ بمحمود ولي نعمته فيزيله أولا ،وكان ابن الطبلاوي قد كثر اختصاصه بالسلطان فصار إليه وساعده على محمود، ودله على عوراته ...[٧٩])).

وبتخطيط منهما وصلت للسلطان الظاهر الأنباء عن الأموال الطائلة التي يخفيها محمود الاستادار، في نفس الوقت الذي بدأ به محمود الاستادار بالخمول، وتكثر شكواه للسلطان من قلة الأموال الموجودة في خزينة الدولة[٨٠]، وذلك في أواخر عام (٧٩٧هـ / ١٣٩٤م) ، مما أدى إلى استياء ونقمة السلطان الظاهر عليه لادعائه زوراً بعدم امتلاكه الأموال.

وقد وجد السلطان الظاهر الفرصة المناسبة للانتقام من محمود الاستادار[٨١] ، ومصادرة أمواله لسد جزء من نفقات الدولة بعد أن تكررت الشكاوي عليه من بعض الموظفين ، والمباشرين عند السلطان الظاهر فصدرت أوامر السلطان للاستادار بدفع مبلغ خمسمائة ألف دينار[٨٢]، وبعد تدخل عدداً من المقربين بينهما خفض المبلغ إلى مائة وخمسين ألف دينار ،

وهدده السلطان بالعقوبة ومصادرة جميع أمواله إذا لم يدفع المبلغ، وعندما فشل في تسديد المبلغ امر السلطان بمصادرة جميع أمواله[٨٣]، وازدادت أوضاعه سوءا عندما عزله السلطان من نظر دار الضرب، والمتجر بالإسكندرية، والاستادارية، وولاهما لابن الطبلاوي[٨٤]، وذلك في صفر عام(٧٩٨هـ/١٣٩٥م). وبذلك تكللت جهود ومحاولات ابن الطبلاوي وابن غراب بالنجاح وتمكنوا من التخلص من محمود الاستادار.

ومن هنا بدأ سعد الدين بن غراب بالظهور بعد أن أصبح من اكبر أعوان ابن الطبلاوي الذي ساعده في مقابلة السلطان الظاهر من أجل إخباره بالمزيد عن الأموال الطائلة الموجودة عند أستاذه محمود الاستادار[٨٥]، فكان ذلك سببا في اعتقال أستاذه، وزوجته، وابنه[٨٦]، وحتى هو نفسه لم يسلم من الاعتقال ليدلي بالمزيد عن الأموال الموجودة عند أستاذه محمود الاستادار[٨٧]، وبذلك ازداد قربا من السلطان وتمتع بمنزلة رفيعة عنده، وولاه مهمة الكشف عن أموال محمود الاستادار لكونه اقرب الأشخاص اليه ،وأكثرهم معرفة بأدق أموره[٨٨]. يفصح لنا هذا أن ابن غراب قد استغل فرصة حاجة السلطان المتزايدة للأموال لتردي الوضع الاقتصادي، فتقرب اليه عن طريق كشفه لمكان الأموال التي يخبئها أستاذه محمود ، كما ويفصح عن معرفته بأفضل السبل وأقصرها للوصول إلى السلطان والتقرب منه.

ثم ولاه السلطان الظاهر في (الحادي عشر من صفر من عام ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م) وظيفة النظر في الديوان المفرد[٨٩] ،وهي من الوظائف العظيمة التي تقع على ناظرها مهمة مراقبة الأراضي ،والقرى ،والحمايات[٩٠] ،والمستأجرات ،فضلا عن متابعته للعمال والكشاف الذين يعملون في هذا الديوان ،وعليه أيضاً توفير الجوامك[٩١] الخاصة بالمماليك السلطانية ،وعليق خيولهم ،ودفع مستحقات الأدر الشريفة[٩٢] والبيوتات[٩٣]، وأستمر سعد الدين بوظيفته هذه

حتى ذي القعدة من العام نفسه[٩٤]، وهي أول وظيفة يتولاها، وله من العمر عشرون سنة أو نحوها[٩٥]، ثم ازداد تقربا من ابن الطبلاوي وأغدق عليه الأموال، وطلب منه التوسط له عند السلطان ليوليه وظيفة نظر الخاص، فتولاها في التاسع عشر من ذي القعدة من العام نفسه[٩٦].

ولابد من الإشارة هنا إلى الاختلاف الموجود في الروايات التي وصلتنا حول هذه المسالة، فبعضها يذكر أن سعد الدين تمكن من أن يلي وظيفة نظر الخاص بفضل ابن الطبلاوي[٩٧]، في حين أرجعت روايات أخرى الفضل لمحمود الاستادار في تولي سعد الدين بن غراب وظيفة نظر الخاص، وتذكر أنه توسط له عند السلطان الظاهر ليوليه تلك الوظيفة[٩٨]. والرواية الأولى اصح من الثانية وأقرب إلى التصديق لأن سعد الدين ابن غراب تولى وظيفة نظر الخاص في ذي القعدة من عام (٧٩٨هـ / ١٣٩٥م) في الوقت الذي كانت فيه العلاقة بين محمود الاستادار والسلطان قد ساءت، وصودرت أمواله في ربيع الأول من عام (٧٩٧هـ / ١٣٩٤م)، فكيف يتوسط له، وهو يتعرض للعقوبة من قبل السلطان، والعلاقة بينهما أشبه بالمقطوعة، هذا فضلا عما اتفقت عليه المصادر من أن محمود الاستادار حقد على سعد الدين بعد أن علم برغبته في تولي أحد المناصب فكيف يقوم هو بنفسه بالتوسط له عند السلطان الظاهر ليتولى وظيفة نظر الخاص.

أحواله ووظائفه في عهد السلطان الظاهر برقوق:

كان للجهود الكبيرة التي بذلها سعد الدين بن غراب في الكشف عن أموال محمود الاستادار أن كافأه السلطان الظاهر برقوق بتعينه ناظراً للديوان المفرد، ولكنه لم يكتف بهذه الوظيفة وتطلع إلى ما هو اسمى فتكللت مساعيه بالنجاح عندما اسند اليه السلطان وظيفة نظر الخاص، وتعد من الوظائف المهمة في

عهد المماليك حيث يتمتع صاحبها بمكانة مرموقة عند السلطان ،وفي المجتمع المملوكي على حد سواء، فكان هذا بداية الحظوة التي نالها سعد الدين وهو في مقتبل عمره ،وهذا ما يؤكده أبو المحاسن بقوله: ((وعمره إذ ذاك دون العشرين[٩٩])).

وكما تخلص ابن غراب من أستاذه محمود الاستادار بدأ بالتخطيط للتخلص من ابن الطبلاوي الذي يعد من اقرب الأشخاص في الدولة للسلطان الظاهر برقوق، فمهد لذلك عن طريق تعيين الأشخاص المقربين منه في الوظائف الهامة[١٠٠]، ثم قام بالاستعانة ببلبغا المجنون[١٠١] ،وحرضه على ابن الطبلاوي ،فكان من نتائج ذلك عزل السلطان لابن الطبلاوي من الحديث في نظر الإسكندرية في (جمادي الأولى من عام ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م) وولاها لابن غراب[١٠٢] الذي ارسل أخاه فخر الدين ماجد بدلاً منه للنظر فيها[١٠٣]. وفي الثامن من شعبان من عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م صدرت الأوامر بالقبض على ابن الطبلاوي، أثناء حضوره لختم أقامه سعد الدين في داره بمناسبة مولود ولد له، وكان هذا باتفاق و ترتيب من سعد الدين مع السلطان[١٠٤] ، كما وصدرت الأوامر بالكشف عن أموال ابن الطبلاوي ومصادرته[١٠٥]، وبذلك تخلص سعد الدين من منافسه ابن الطبلاوي واصبح هو اهم شخص في دولة المماليك الجراكسة بعد السلطان.

وبعد استقرار الأوضاع لصالح ابن غراب في الدولة بتخلصه من منافسيه اعتذر للسلطان الظاهر برقوق عن العمل في وظيفتي نظر الديوان المفرد والكارم[١٠٧] ،وطلب منه الاكتفاء بوظيفة نظر الخاص[١٠٣] لكثرة أعباء ومسؤوليات هذه الوظيفة ،فوافق السلطان على طلبه، وتحت ضغط الأوضاع السياسية والاقتصادية ولاه السلطان وظيفة ناظر الجيش[١٠٨] بدلاً من ابن الدماميني[١٠٩] إلى جانب وظيفة نظر الخاص لحين إيجاد الشخص

المناسب[١١٠]، في التاسع من ذي القعدة سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م. فأظهر من الأمانة والتعفف عن أموال الناس ما يلفت اليه الأنظار. ووصفه المقريزي قائلا: ((فعف عن تناول الرسوم وأظهر من الفخر والحشمة والمكارم أمرا كبيرا[١١١]))، ولمنزلته الكبيرة عند السلطان الظاهر فقد عينه من ضمن الأوصياء على ابنه فرج[١١٢]، وهذا يوضح المكانة السامية التي شغلها سعد الدين في الدولة ومدى ثقة ،واعتماد السلطان عليه في تصريف شؤون الدولة.

ومن الملاحظ أن ابن غراب في الفترة الأخيرة من حكم السلطان الظاهر قد غير من سياسته تجاه سائر رجال الدولة واتبع سياسة جديدة أظهرت حسن خلقه وأكسبته مودة رجال الدولة، فقد وقف إلى جانب الوزير الصاحب بدر الدين محمد بن الطوخي[١١٣] وأنزله في داره ليخلصه من الضرب والتعذيب لسخط السلطان عليه، بعد أن تعهد بدفع مبلغ سبعمائة ألف درهم[١١٤].

ووقف كذلك فيما بعد إلى جانب يلبغا المجنون الذي تعرض للاضطهاد والتنكيل من قبل خصومه بعد وفاة السلطان الظاهر برقوق ،فأبقاه في داره بدلا من السجن[١١٥]. وقد جاءت سياسته هذه بعد أن ثبت قدمه في الدولة، وتخلص من جميع منافسيه، وأصبحت كلمته مسموعة لدى السلطان والمماليك السلطانية على حد سواء.

وظائفه وأعماله في عهد السلطان الناصر فرج:

استمر سعد الدين بن غراب بالعمل في وظيفتي نظر الجيش ، والخاص بعد تولي السلطان الناصر فرج (٨٠١هـ – ٨١٥هـ /١٣٩٨م . ١٤١٢م) الحكم عام (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، وقد تأثر سعد الدين شأنه شأن باقي رجالات الدولة بتقلبات الحياة السياسية التي اتسم بها عصر سلاطين

المماليك، فتقلبت حياته بين الهدوء والاستقرار تارة والعقوبة والسجن ومصادرة الأموال تارة أخرى.

تميزت الحقبة التي تولى فيها السلطان الناصر فرج الحكم بكثرة الثورات، اضطر لشدتها في بعض الأحيان على الخروج بنفسه للقضاء عليها، ومن هذه الثورات الثورة التي قادها الأمير ايتمش وأراد بها الانفصال بالبلاد الشامية[١١٦]، فخرج اليه السلطان بنفسه ورافقه في حملته هذه كبار رجال الدولة كالأمير الكبير يشبك وسعد الدين بن غراب، الذي أمره السلطان الناصر أن يقوم بتجهيز جميع الإقامات، وما يلزم الجند من المؤنة والعلف[١١٧]، وبعد إخماد الثورة عاد السلطان إلى القاهرة، فخرجت العامة كعادتها لاستقباله[١١٨]. وهذه من الأمور التي إعتادها المصريون إذ كانوا يخرجون لاستقبال سلاطينهم عند عودتهم إلى القاهرة، لاسيما وان عادوا منتصرين، فيخرجون بأعداد كبيرة تعبيرا عن فرحهم بنصر سلاطينهم وتأييدا لهم.

بعد فترة وجيزة استدعى سعد الدين ابن غراب أخاه فخر الدين من الإسكندرية وكان يلي نظرها، فولاه الوزارة وأقام في قلعة الجبل[١١٩]، وبذلك تمكنا من السيطرة على شؤون الدولة المختلفة ،واستمرا بالعمل معا، حتى تولى يلبغا السالمي[١٢٠] الاستادارية، فبدأ سعد الدين منافسته وحاول التخلص منه عن طريق التقرب من الأمير يشبك، وتحريضه على يلبغا السالمي، وتحقق له ما كان يصبو اليه عندما صدرت الأوامر بالقبض على يلبغا السالمي وعزله من الاستادارية[١٢١].

ازداد اعتماد السلطان الناصر على سعد الدين بن غراب ، فولاه في(الرابع عشر من رجب من عام ٨٠٣ هـ/ ١٣٩٩م) الاستادارية إضافة لما بيده من وظائف[١٢٢]، فوافق سعد الدين على ذلك ولكن بشروط عدة منها أن لا يغير زي الكتاب، وأن يسلم اليه يلبغا السالمي ليحاسبه عن الأموال التي أخذها

من الناس[١٢٣]، وبهذه المناسبة خلع عليه السلطان جبة من حرير بوجهين أحدهما أحمر والآخر أخضر بطراز ذهب عريض، وفي شوال من العام نفسه خلع عليه جبة مطرزة لاستمراره على ما بيده من وظائف[١٢٤]، فزادت مكانته وأهميته في الدولة وصار له ديوان كدواوين الأمراء، ودقت الطبول على بابه ،وخاطبه الناس، وكاتبوه بالأمير، وسار في ذلك سيرة ملوكية من كثرة العطاء، وزيادة الأسمطة، والاتساع في الأموال، والازدياد من المماليك، والاستكثار من الخيول، والحواشي حتى لم يكن احد يضاهيه في شيء من أحواله[١٢٥]. وبعد سنوات من توليه هذه الوظائف ظهر التعب عليه فقرر التنازل عن وظيفة نظر الخاص لأخيه فخر الدين في[١٢٦] (ربيع الأول من عام ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م).

ولم تتوقف طموحات سعد الدين عند هذا الحد فبدأ بالتخطيط لتوليه وظيفة كتابة السر[١٢٧]، وتحقق له ما أراد عندما عزل السلطان كاتب السر فتح الدين فتح الله[١٢٨] من منصبه، وعينه بدلا منه، كما سلمه السلطان فتح الدين ليحاسبه، فقام بإهانته ومصادرة أمواله[١٢٩]. وبتولي سعد الدين وظيفة كتابة السر زادت مكانته وأهميته في الدولة ،وبالغ الأمراء في إكرامهم له. يقول أبو المحاسن: ((وبهذه المناسبة خلع عليه خلعة كتابة السر الشريف كخلعة الأمراء بطراز ذهب ولم يسبقه إلى هذا أحد[١٣٠]))، هذا فضلاً عن الخلع التي كان يخلعها عليه السلطان في كل عام[١٣١] تعبيرا عن اعتزازه وتقديره له، واستمراره في وظائفه، وهذا يدل على سمو منزلته وعلو قدره ليس فقط لدى السلطان وإنما لدى الأمراء أيضا. وبعد فترة وجيزة من توليه وظيفة كتابة السر نجده يترفع عنها ويوليها لاحد كتابه[١٣٢].

كما اكتسب القاضي سعد الدين مكانة مرموقة بين أبناء جلدته جاءت من خلال مشاركته لهم الشدائد والمحن التي كانت تمر بهم، فقد كانت له وقفة رائعة في الغلاء، والبرد الذي اجتاح البلاد المصرية[١٣٣] في (جمادى الآخر

من عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)، الذي بدا بالظهور بعد هبوب رياح جنوبية شديدة البرد كثيرة الرطوبة، فشا على إثرها السعال، والحمى في القاهرة، وتزامن ذلك مع توقف النيل عن الزيادة، فوصل عدد من يموت من شدة الجوع، والبرد في كل يوم فوق الألف شخص، فقام سعد الدين ابن غراب بمشاركة أمراء المماليك في مواراة جثث من مات من المرض والجوع، حتى بلغ عدد ما وري من الجثث في اليوم الواحد حوالي المائتي جثة[١٣٤]، ثم انفرد ابن غراب بهذه المهمة لوحده، فبلغ عدد ما واراه من الجثث حتى نهاية شوال من العام نفسه ما يقارب على الاثني عشر ألف وسبعمائة جثة[١٣٥]. وكان لوقفته هذه دور ملحوظ في زيادة شعبيته، ومكانته لدى أبناء جلدته، وزادت محبتهم له، وتناسوا سوء سيرته، وبشاعة أفعاله وأعماله مع أستاذه محمود الاستادار[١٣٦].

ولم تخلو أيام مباشرته لهذه الوظائف المتعددة من التعرض للضغوط المختلفة ،وسوء المعاملة سواء من قبل السلطان أو من قبل المماليك السلطانية ، لاسيما عندما يتعلق الأمر بتوزيع النفقة على المماليك التي كان يرافقها مشاكل كثيرة تتمثل بعدم كفاية ما موجود من مبالغ في خزينة الدولة مع ما يفترض توزيعه من أموال، لذا نجد سعد الدين يضطر في بعض الأحيان إلى سد هذا النقص من ماله الخاص، كما كان التأخير في توزيع النفقة على المماليك يعرضه للإهانة، والتجاوز عليه من قبل المماليك التي كانت تصل إلى الضرب أحيانا، وكان يضطر في بعض الأحيان إلى اللجوء لأمراء المماليك ليحتمي بهم من أذى المماليك، وفي أحيان أخرى يضطر لترك الخدمة، والجلوس في بيته حتى تهدأ الأحوال، فعلى سبيل المثال في شوال من عام (٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) صدرت الأوامر لناظر الخاص بتوزيع النفقة على المماليك المنتصرين على يشبك الشعباني، ولعدم كفاية الأموال في الخزانة التزم سعد الدين بحمل مبلغ مائة ألف دينار، وبدأ بالاقتراض من التجار، فأعطى

لكل مملوك ألف درهم[١٣٧]، فثار عليه المماليك، وامسكوه، وضربوه مما اضطره للهرب، ولجأ إلى الزمام[١٣٨] ثم توجه إلى مصر، ومعه النفقة، وهنا نجد سعد الدين يبدا بالتخبط في تصرفاته فهو لم يوزع النفقة على المماليك بل هرب خارج القاهرة بعد أن عدى الجيزة ثم سار حتى وصل إلى تروجة[١٣٩]، فأخرج مثالاً[١٤٠] يأمر فيه السلطان باستحصال الأموال من مشايخ تروجة، وأن يخرج جماعة منهم لمساعدة سعد الدين للتوجه إلى الإسكندرية وإخراج يشبك من السجن، فقام شيخ تروجة بإرسال احد رجاله إلى السلطان للتأكد مما ورد في المثال، فأمره السلطان بعدم دفع الأموال لسعد الدين ،وأن يقبض عليه. ثم قام سعد الدين بجمع عددٍ من الرجال للخروج بهم إلى الإسكندرية[١٤١]، ولكنه فجأة غير طريقه، ورجع إلى القاهرة فوصلها في الحادي والعشرين من ذي الحجة من عام (٨٠٣هـ / ١٤٠٠م)، ولجأ إلى الأمير سودون طاز[١٤٢] طالباً منه التوسط له عند السلطان ليعفو عنه، فعفا عنه السلطان ،وخلع عليه جبة مطرزة من الحرير، وأعاده إلى جميع وظائفه وأضاف له وظيفة النظر في الذخيرة، ودواليب خاص الخاص[١٤٣]، وقام سعد الدين بإكمال توزيع النفقة على المماليك، ولكنهم ثاروا عليه ورجموه فلجأ إلى بيت نوروز الحافظي فتركوه[١٤٤]، ثم عاد إلى داره، ولم يتمكن من إكمال النفقة حتى قام بإرضاء أكابر المماليك وأعيانهم[١٤٥]. لغرض توفير الحماية له من تجاوزات المماليك ،ولا نعلم ما الغاية التي أراد تحقيقها من وراء حركته هذه بخروجه من القاهرة غير رغبته في اطلاق سراح الأمير يشبك الذي كان من الأشخاص المقربين منه.

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من شعبان من عام (٨٠٥هـ/١٤٠٢م) قامت مجموعة من المماليك بالتعرض لسعد الدين عندما كان يهم بالخروج من القلعة بالدبابيس، وضربوه، وأوقعوا عمامته من رأسه، ولكنه تمكن من الهروب منهم، وانقطع عن الخدمة عدة أيام بسبب ذلك[١٤٦].

والى جانب هذا فقد تعرض سعد الدين بن غراب واخوه فخر الدين للسجن، ومصادرة أموالهما لأكثر من مرة. وتعد هذه سمة واضحة من سمات الحياة السياسية في عهد دولة المماليك ، فقد عرف عن السلاطين المماليك سرعة تقلب أمزجتهم على موظفيهم غير آخذين بنظر الاعتبار كفاءة هؤلاء الموظفين وتفانيهم في عملهم.

ففي ربيع الآخر من عام ٨٠٢هـ /١٣٩٩م صدرت الأوامر بالقبض على سعد الدين واخيه فخر الدين ورجالهم ومصادرة أموالهم فقام شاد الشراب خاناة[١٤٧] بأنزالهما في داره، وأتاهما الناس بكل ضيافة فاخرة، وبقيا عنده حتى عفا عنهما السلطان في الثامن والعشرين من ربيع الآخر من العام نفسه، وأرجعهما إلى وظائفهما، وخلع عليهما[١٤٨]، وهذا يوضح مدى محبة الناس لسعد الدين ورضاهم عنه.

وفي الثالث عشر من رمضان من عام ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م غضب السلطان على القاضي سعد الدين، وصدرت أوامره بالقبض عليه، وعلى أخيه فخر الدين ماجد، وعدد من مساعديهما، وحبسوا في الزردخاناة[١٤٩] بالقلعة، وبقوا فيها حتى الخامس والعشرين من ذي القعدة حيث أمر السلطان بإطلاق سراحهم بعد أن التزم سعد الدين بدفع مبلغ ألف ألف درهم[١٥٠].

وللعلاقة الوثيقة التي ربطت القاضي سعد الدين بن غراب بالأمير يشبك الشعباني ، نجده يقف إلى جانبه في جميع الظروف مخاطرا بحياته ووظائفه وحتى أمواله ،ففي جمادي الأولى عام ٨٠٧ هـ/١٤٠٤م اعلن سعد الدين عن تأييده وانضمامه ليشبك في ثورته على السلطان الناصر فرج، ومحاولته الانفصال ببلاد الشام، وأمده ومن معه بالأموال الطائلة، وحرضهم على قتال السلطان الناصر، وعندما وجد أن الثورة لن يكتب لها النجاح طلب من الأمير اينال باي[١٥١] التوسط له عند السلطان ليعفو عنه لقاء مبلغ من المال[١٥٢]،

فعاد في التاسع من ذي الحجة وسلمت وظائف نظر الخاص والوزارة إلى أخيه فخر الدين، وعين سعد الدين مشيراً للسلطان ولبس الملابس العسكرية[١٥٣].

وكان للمعاملة السيئة التي اتبعها السلطان الناصر مع أمرائه ومماليكه، وقلة حزمه معهم فانقلبوا عليه وعارضوه وابتعدوا عنه[١٥٤] فوجد سعد الدين الفرصة مناسبة للتقرب من السلطان والتأثير عليه ، فحسن له فكرة الفرار من القصر والاختباء في داره بشرط ان لا يعلم احد بذلك[١٥٥]، فوافق السلطان الناصر على ذلك. يقول ابن الصيرفي: ((نزل عند القاضي سعد الدين بن غراب، ولم يزل عنده في لهو وطرب واكل وشرب وبسط وانشراح إلى يوم ظهوره[١٥٦])).

ولسعد الدين بن غراب دور ملحوظ في تنصيب عبد العزيز بن برقوق سلطانا لمصر ولقبه بالملك المنصور، وقام بإدارة أمور الدولة كما أراد لمدة سبعين يوما[١٥٧] إلى أن أحس بتغير في موقف الأمراء، فرتب للسلطان الناصر رجوعه إلى قصره مع عدد من الأمراء المقربين وعلى راسهم الأمير يشبك الذي أخبره باختباء السلطان عنده، فعاد في ربيع الآخر من العام نفسه بعد أن استقرت الأحوال لصالح السلطان الناصر وقضى على خصومه ومعارضيه من المماليك[١٥٨]. ويروي المقريزي قائلا: ((فألقى مقاليد الدولة إلى ابن غراب وفوض اليه ما وراء سريره ونظمه في خاصته، وجعله من أكابر الأمراء وناط به جميع الأمور ، فاصبح مولى نعمة كل من السلطان والأمراء، يمن عليهم بانه ابقى لهم مهجتهم، وأعاد اليهم سائر ما كإنو قد سلبوه من ملكهم، وأمدهم بماله وقت حاجتهم وفاقتهم إليه ....[١٥٩])). وبذلك يكون لسعد الدين بن غراب الفضل في تخليص السلطان والأمراء المؤيدين له ممن يعارضهم من أمراء المماليك.

وكافأه السلطان الناصر لوقوفه إلى جانبه ،وحسن إدارته للدولة في غيابه فخلع عليه برأس مشورة[١٦٠]، وأنعم عليه بأمره مائة وتقدمة ألف[١٦١]، ولبس كهيئة الأمراء، وهي الكلوتة[١٦٢]، والقباء وشد السيف في وسطه، وتحول من داره التي على بركة الفيل إلى دار بعض الأمراء بحدرة البقر فغضب عليه القضاة بسبب ذلك[١٦٣] لتركه زي الكتاب، وارتدائه زي الأمراء.

مرضه ووفاته :

قام السلطان الناصر فرج بن برقوق بمكافأة القاضي سعد الدين بن غراب لإخلاصه ،ووقوفه إلى جانبه في صراعه مع المماليك فخلع عليه بأمرة مائة وتقدمة الف في الديار المصرية ،وهي من الوظائف العسكرية أكثر مما هي وظيفة كتابية ،وذلك في (ربيع الآخر من عام ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م). وكان هذا غاية ما تمناه ، وسعى إلى تحقيقه بل إنه تحقق له مالم يحصل لغيره ممن عملوا في خدمة الدولة المملوكية.

في صبيحة اليوم التالي وبحكم منصبه الجديد ارتدى سعد الدين بن غراب زي الأمراء للالتحاق بالخدمة السلطانية تاركا لبس الكتاب. يقول أبو المحاسن: ((حدثني بعض خواص سعد الدين قال: لما نزل من الخدمة بزي الأمراء سألني بأن قال: يا فلان هذه الصفة أحسن أم تلك الصفة فقلت: لا والله تلك الصفة أحسن وأجمل وأليق بك، فلم يرد الجواب[١٦٤]))، وكان يجلس تحت الأمير الكبير مع الأمراء المقدمين[١٦٥].

وبعد عودة سعد الدين إلى داره لم يلتحق بعدها بالخدمة السلطانية ثانية[١٦٦] إذ أصيب بمرض القولنج الصفراوي[١٦٧]، فنال في مرضه من السعادة مالم يسمع بمثله لأحد من أبناء جنسه، فكان الأمير يشبك الشعباني ومن دونه مرتبه من الأمراء يترددون عليه، وأكثرهم اذا دخل عليه وقف قائما

على قدميه حتى ينصرف[١٦٨]. يقول السخاوي: ((وتزيا بزي الجندي وضرب على بابه الطبول ونعم جدا حتى انه عندما مرض كان الأمراء الكبار يعودونه قياما على أرجلهم[١٦٩])).

وظل يصارع المرض مدة طويلة، حتى وافاه الأجل (ليلة الخميس في التاسع عشر من رمضان من عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) عن عمر يناهز الثلاثين عاماً[١٧٠].

وكانت جنازته احدى الأمور العجيبة بمصر لكثرة من شهدها من الأمراء، والأعيان، وسائر أرباب الوظائف، واستأجر الناس السقائف والحوانيت لمشاهدتها[١٧١]، ونزل السلطان من قلعة الجبل للصلاة عليه في مصلى المؤمنين بالرميلة ودفن خارج باب المحروق في القاهرة[١٧٢].

ولم يترك من المال شيئا، بل مات وعليه من الديون ما لا يدخل تحت الحصر[١٧٣]، فقد كان ينفق من ماله الخاص لسد نفقات الدولة[١٧٤]، وبعد مصادرته من قبل السلطان الناصر فرج لجأ للاستدانة من معارفه من اجل سد نفقات الدولة ،وكان يدفعه في ذلك طموحه لإثبات جدارته في تلك المناصب التي كلف بإدارتها.

اختلفت آراء المؤرخين حول القاضي سعد الدين ما بين ذم ومدح، فهنالك من انتقده كالمؤرخ بدر الدين العيني الذي قال عنه نقلاً عن ابن الصيرفي انه :((كان صاحب مكر ،وحيلة ،ودهاء ،وكان يلعب بأرباب المملكة ،وكان يستعين على ذلك كله ببذل الأموال الجزيلة من الأموال التي حصلها في أيام الملك الظاهر واستيلائه على الخزائن الظاهرية...[١٧٥])).

واتهمه المقريزي بالفساد ،وأنه كان سببا في خراب إقليم مصر ،وفقدان النقود لقيمتها فبعد أن كان الدرهم يساوي قيراطا أو بعض قيراط[١٧٦] من الدينار أصبح كل خمسة أو ستة دراهم تساوي قيراط من الدينار، وحدث هذا منذ أن

ولي سعد الدين نظر الخاص ،فاخذ يزيد في سعر الذهب لكثرة ما صار بيده منه في أواخر حكم السلطان الظاهر برقوق[١٧٧] .يحدثنا المقريزي قائلاً: ((فإنه ما زال يرفع سعر الذهب حتى بلغ كل دينار إلى مائتي درهم وخمسين درهما من الفلوس، بعدما كان بنحو خمسة وعشرين درهما ، ففسدت بذلك معاملة الإقليم وقلت أمواله وغلت أسعار المبيعات، وساءت أحوال الناس، إلى ان زالت البهجة وانطوى بساط الرقة، وكاد الإقليم يدمر...[١٧٨])).

وهنالك من امتدحه وانصفه كالسخاوي الذي قال فيه: ((وكان وافر الحرمة بلغ في المملكة ما لم يبلغه أحد فانه لم يمت حتى صار أمير بتقدمة ألف ، وتنقل في الولايات كنظر الخاص والجيش والاستادارية وكتابة السر وغيرها، ولقد تلاعب بالدولة ظهرا لبطن وخدم عنده الأضداد وعظم قدره حتى شاع أنه لابد أن يلي السلطنة [١٧٩])).

على أن اختلاف آراء المؤرخين حول القاضي سعد الدين بن غراب ما بين مدح ،وذم لم يؤثر على موقف الأغلبية الساحقة من أهالي مصر، الذي تمتع لديهم بالقبول والإحسان بدليل خروج هذه الأعداد الهائلة منهم في جنازته تكريما له .

<u>إنجازاته :</u>

كان للقاضي سعد الدين العديد من أعمال البر التي قصد بها الأجر، والثواب أبرزها الخانقاه[١٨٠] التي بناها خارج القاهرة على انقاض خانقاه قديمة عام ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م ، وتقع على الخليج الكبير من بره الشرقي إلى جوار جامع بشتاك[١٨١] من جهته الغربية[١٨٢].

وقد ضمت هذه الخانقاه مدرسة عرفت بالمدرسة الغرابية[١٨٣] ،أو مدرسة ابن غراب ، وهذا ما يؤكده السخاوي عند حديثه عن موسى بن أحمد بن

موسى[١٨٤] ،فيقول: ((وولي تدريس الفقه بمدرسة ابن غراب[١٨٥]))، ولكنه بمرور الزمن طغى اسم المدرسة على الخانقاه فأصبحت تعرف بها .

واحتوت المدرسة على خزانة للكتب[١٨٦]، كما حوت على مشيخة للصوفية[١٨٧]، ودرست في هذه المدرسة العديد من العلوم كعلوم اللغة ،والفقه، وتولى التدريس فيها العديد من العلماء ،والفقهاء ،والمشايخ أمثال محمد بن احمد بن معالي الشمس الحبتي[١٨٨] ،وغيرهم كثير[١٨٩].

الخلاصة :

بعد هذا العرض الموجز للدور الاقتصادي والسياسي للقاضي سعد الدين بن غراب (...- ٨٠٨هـ/ ...- ١٤٠٥م) ،تم التوصل إلى النتائج التالية:-

١- يرجع القاضي سعد الدين بن غراب في اصله إلى احدى الأسر القبطية الحديثة العهد بالإسلام في الإسكندرية ،فقد كان جده غراب أول من اسلم من آبائه .

٢- اتبع سلاطين المماليك سياسة التسامح الديني مع جميع أبناء المجتمع المصري ،وكان الإخلاص والكفاءة العالية شرطا أساسيا لتولي وظائف الدولة المختلفة دون أي اعتبار آخر ،وهذا ما نجده مع عائلة سعد الدين بن غراب التي تمكن أفرادها من الحصول على افضل المناصب الإدارية على الرغم من أصولهم القبطية.

٣- عاصر القاضي سعد الدين بن غراب كل من السلطان الظاهر برقوق وابنه السلطان الناصر فرج ،وتعد فترة حكمهم من الفترات التي لم تخلو من الفتن والاضطرابات السياسية سواء على الصعيد الداخلي أو على

الصعيد الخارجي ، التي القت بظلالها على الأوضاع التي سادت البلاد آنذاك .

٤- كان لنباهته العالية وحسن خلقه دور كبير في المكانة السامية التي وصل إليها سعد الدين بن غراب مما أكسبه حب أُمراء المماليك وعامة الناس على حد سواء.

٥- لقد ازدادت مكانته رفعة وسموا في عهد السلطان الناصر فرج، الذي اعتمد عليه اعتمادا كبيرا لحسن رايه وتدبيره، فجمع له العديد من الوظائف ، ولجأ إليه السلطان الناصر فرج لحل العديد من المشاكل التي كانت تواجهه، منها نصيحته للسلطان بالاختباء عنده لبعض الوقت لحل مشاكله مع أمراء المماليك، وبالفعل كان لرأيه هذا ومشورته اعظم الأثر في حل مشاكل السلطان الناصر لفترة قصيرة، وتخلصه من معارضيه ورجوعه للسلطة أقوى من السابق.

٦- لقد تحمل من الأعباء ما يفوق طاقته وقدرته على التحمل لاسيما فيما يتعلق بالجوانب المادية ،فكان يضطر لإكمال العجز الحاصل في الدولة من الناحية المالية من ماله الخاص، حتى انه كان في بعض الأحيان يضطر للاقتراض من الأشخاص المقربين منه لتكفيه نفقات الدولة ،رغبة منه للحصول على المناصب العالية ،ولإثبات جدارته ،وكفاءته في مناصبه التي كان يتولاها.

٧- على الرغم من جهوده الكبيرة في خدمة الدولة المملوكية وجدارته العالية التي اثبتها في الوظائف التي تولاها ، إلا انه بالرغم من ذلك تعرض لأكثر من مرة للمصادرة والسجن من قبل السلطان الناصر فرج، لإجباره على دفع المزيد من الأموال التي كان السلطان بحاجة إليها،

هذا إلى جانب تعرضه لأذى واعتداء المماليك السلطانية الذي وصل إلى الضرب والإهانة في بعض الأحيان .

٨- مدَ القاضي سعد الدين بن غراب يد العون لكل من كان يحتاج إلى المساعدة، ويعود إليه الفضل في تخليص عدد من رجال الدولة من التعرض للإهانة و الضرب ،هذا فضلا عن مشاركته لأبناء بلده في المحن التي تعرضوا لها لاسيما في غلاء عام (٨٠٦هـ / ١٤٠٣م)، حتى إنه انفرد لوحده فيما بعد بتقديم المساعدة والعون لكل من يحتاج إلى المساعدة.

٩- وهو أول من ترك زي الكتاب من أصحاب القلم ،وتزيا بزي أُمراء المماليك .

١٠- لم تتفق أراء ومواقف المؤرخين تجاه القاضي سعد الدين بن غراب، فهنالك من انتقده لسوء تصرفه في بداية حياته ،ولا سيما وشايته بأستاذه محمود الاستادار، وهنالك من امتدحه لحسن سيرته وتواضعه ومواقفه الإيجابية في الوباء والغلاء الذي حل بالبلاد المصرية، التي زادت من محبته بين الناس وتناسوا ما قام به من أفعال سيئة في بداية حياته.

١١- له العديد من الأعمال التي قصد بها الأجر والثواب كالخانقاه والمدرسة التي أقامها في القاهرة ، ودرست فيها مختلف أنواع العلوم من قبل مدرسين ،وشيوخ أكفاء .

الهوامش :

١- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة الحياة، بيروت، د/ت ، ج١، ص٦٥ .

٢- أبو المحاسن، جمال الدين يوسف، (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٧٠م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج١، ص١٠٤.

٣- ابن حجر، احمد بن علي، (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م)، أنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، ج٢، ص٣٢٨.

٤- السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١، ص٩٥ .

٥- نظر الإسكندرية: الناظر ،وهو من كبار الموظفين، ومهمته التحدث في أمور الإسكندرية وأحوالها وكل ما يتعلق بها. للمزيد ينظر : القلقشندي ، احمد بن علي ،(ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، ط٢ ، بيروت ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ج٥ ، ص٤٦٥ .

٦- المقريزي، احمد بن علي، (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٥، ص٣٧٤ .

٧- صلاح الدين بن خليل بن عرام : تولى العديد من الوظائف منها الوزارة ونظر الإسكندرية ،مات مقتولا عام ٧٨٣ هـ/ ١٣٨١م. للمزيد ينظر: ابن حجر، أنباء، ج١، ص٢٢٣.

٨- التوسيط: لغة تعني قطع الشيء نصفين. للمزيد ينظر: الرازي ،محمد بن أبو بكر ،(ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م)، مختار الصحاح، دار الرسالة،

الكويت،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٧٢٠؛ ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ /١٣١١م) ،لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، د/ت، ج٧،ص٤٣٠؛ وهي ضرب المحكوم عليه بواسطة السياف بقوة تحت السرة، فيقسم الجسم نصفين من وسطه. للمزيد ينظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام ، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥م، ص٤٠٢.

٩- المقريزي، السلوك،ج٥، ص٣٧٤.

١٠- المقريزي، السلوك، ج٥، ص١١٢.

١١- المقريزي، السلوك، ج٥، ص١١٢ .

١٢- هو الملك بطرس الأول بن هيو الرابع ،اعتلى عرش قبرص سنة٧٦١هـ/ ١٣٥٩م ،وهو أول ملك أوربي بعد لويس التاسع ملك فرنسا يتحمس للاستيلاء على بيت المقدس عن طريق حرب مقدسة ،توفي سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م. للمزيد ينظر: الحنبلي، عبد الحي، (ت ١٨٠١ هـ/١٦٧١م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط١، دمشق، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٥م،ج١،ص٢١٧ .

١٣- ابن حجر، أنباء، ج١، ص٢٢٣.

١٤- المقريزي ، السلوك، ج٥، ص٣٧٤ .

١٥- أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١٠٤.

١٦- ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٢٨.

١٧- ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٢٨.

١٨- فخر الدين ماجد: بن عبد الرزاق، ولي الوزارة في أيام عظمة أخيه، ثم نكب بعد موته وصودرت أمواله واستمر محبوسا حتى وفاته عام ٨١١هـ/١٤٠٨م. للمزيد ينظر : أبو المحاسن ، جمال الدين يوسف ، (ت

٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ، الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق محمد فهيم شلتوت ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٢٩٩ هـ/١٨٨١م) ، ج٢، ص٥٦٩.

١٩- المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٧٤.

٢٠- السخاوي، الضوء، ج٢، ص٦٥.

٢١- ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٢٨؛ أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١١٢؛ السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٥.

٢٢- ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٣٠.

٢٣- أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١١٢.

٢٤- ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٣٠.

٢٥- السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٥.

٢٦- السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٦.

٢٧- ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٣٠.

٢٨- السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٥.

٢٩- المقريزي، احمد بن علي، (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، الخطط المقريزية، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، ج٤، ص٢٩١.

٣٠- الظاهر برقوق: أبو سعيد بن انص العثماني، سمي بذلك لجحوظ في عينيه، وهو أول من ابتدأ حكم دولة المماليك الجراكسة، تولى حكم البلاد المصرية في المرة الاولى للفترة (٧٨٤هـ -٧٩١هـ/١٣٨٢م -١٣٨٩م) ،ثم عزل وعاد لحكمها مرة ثانية للفترة(٧٩٢هـ - ٨٠١هـ / ١٣٨٩م - ١٣٩٨م) . للمزيد ينظر: العيني، بدر الدين (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق إيمان شكري، ط١، القاهرة،

١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م ، ص٤٩٤؛ الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، د/ت، ج١، ص١٦٢.

٣١- منطاش : وهو احد أمراء المماليك الذين ثاروا على الظاهر برقوق، وبعد فشل ثورته لجأ إلى العربان، قتل على يد اتباع نائب حلب وارسل رأسه إلى القاهرة عام ٧٩٥هـ/١٣٩٢م. للمزيد ينظر: ابن حجر، أنباء، ج١، ص٤٥١.

٣٢- يلبغا الناصري: بن عبد الله الناصري اليلبغاوي، مات مقتولا في قلعة حلب عام ٧٩٣هـ/١٣٩٠م. للمزيد ينظر: ابن طولون، محمد، (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م)، أعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد احمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م ، ص٥٥؛ أبو المحاسن، جمال الدين يوسف، (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م، ج١٢، ص٩٨.

٣٣- الكرك: قلعة حصينة جدا في طرفي الشام من ناحية البلقاء في جبالها بين آيلة والقلزم. للمزيد ينظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م)، ج٧ ، ص١٣١.

٣٤- القلقشندي، احمد بن علي ، (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار، احمد فراج، الكويت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ، ج٢، ص١٨٩؛ السيوطي، عبد الرحمن، (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ج٢، ص٦٨؛ طرخان، إبراهيم علي ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ص٦٢.

٣٥- القلقشندي، مآثر، ج٢، ص١٩٤؛ طرخان، مصر، ص٢٦٢.

٣٦- -بن حجر ،احمد بن علي ،(٨٥٢هـ / ١٤٤٨ م) ،الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان ، ط٢ ،مجلس دائرة المعارف العثمانية ،الهند ،حيدر آباد ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ،ج٢ ،ص٨٢؛ أبو المحاسن، النجوم، ج١٢، ص٣؛ حسن، علي إبراهيم، مصر في العصور الوسطى، القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م ، ص٢٣٦.

٣٧ -بعد سجن السلطان الظاهر في الكرك انتخب أمراء المماليك المنصور حاجي سلطانا للبلاد المصرية، فقام السلطان الظاهر برقوق بعزله ،وعاد ثانية إلى السلطنة التي استمر بها حتى وفاته عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م. للمزيد ينظر: القلقشندي، مآثر، ج٢، ص١٩٥.

٣٨ -نوروز: ولي إمارة دمشق عام ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، وعزل عنها في نفس السنة ثم تولاها ثانية عام ٨١٥هـ/١٤١٢م ، قتل على يد السلطان المؤيد شيخ عام ٨١٧هـ/١٤١٤م. للمزيد ينظر: ابن طولون، أعلام الورى، ص٥٨.

٣٩ -اتفق نوروز مع عدد من الأمراء على قتل السلطان الظاهر برقوق، فوصلت هذه الأنباء إلى السلطان وتمكن من القبض عليه وسجنه في الإسكندرية. للمزيد ينظر: أبن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٨.

٤٠ -القلقشندي، مآثر، ج٢ ، ص١٩٠.

٤١ -فرج بن برقوق: ولي السلطنة مرتين فقد ترك السلطنة واختفى عام ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، ثم عاد ثانية في العام نفسه، واستمر بالسلطنة حتى قتل عام ٨١٥هـ/١٤١٢م. للمزيد ينظر: الحنبلي، شذرات الذهب ، ج٧، ص١١٢.

٤٢ -القلقشندي، مآثر، ج٢، ص١٩٠.

٤٣ –ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون، صححه أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، عمان، د/ت، ص٢١١٧.

٤٤ –الأمير الكبير: رتبة عسكرية في الجيش المملوكي من مقدمي الألوف تؤهل صاحبها تولي نيابة السلطنة أو اتابكية العسكر .للمزيد ينظر :دهمان ،محمد احمد ،معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ،ط١ ،دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م ،ص٢٢ .

٤٥ –ايتمش: بن عبد الله البجاسي نائب الشام، توفي عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م في المعركة التي حدثت بينه ،وبين السلطان الناصر فرج. للمزيد ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل، (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٩، ص٢٧٠.

٤٦ –الاتابك: وهو مقدم العساكر والقائد العام للجيش المملوكي. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج٤، ص١٨.

٤٧ –ابن خلدون، تاريخ، ص٢١١٧؛ ابن الصيرفي، علي بن داود، (ت٩٠٠هـ /١٤٩٤م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٢، ص٣٣.

٤٨ –طلب السلطان الناصر من اتيمش ان يترك باب السلسلة التي يسكن فيها الاتابك ويعود للسكن في داره، فوافق على ذلك. للمزيد ينظر: ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، (ص٣٤ – ص٣٥)؛ ابن إياس، محمد بن أحمد، (ت٩٣٠هـ/١٥١٠م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد

مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ج١، ق٢، ص٥٥٧.

٤٩ –تنم: الظاهري، اظهر العصيان بعد وفاة السلطان الظاهر برقوق وطالب بالسلطنة، فتمكن الناصر فرج من القبض عليه وقتله عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م. للمزيد ينظر: ابن حجر، أنباء الغمر، ج٢، ص١١٩.

٥٠ –القلقشندي، مآثر، ج٢، ص١٩١؛ ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٩١؛ ضومط، أنطوان خليل، الدولة المملوكية التاريخ والسياسي والاقتصادي والعسكري، ط٢، بيروت،١٤٠٣هـ/١٩٨٢م ، ص٣٣٢– ص٣٣٤.

٥١ –ابن خلدون، تاريخ، (ص٢١١٨ – ص٢١٢٤)؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، (ص٨٠ – ص٩٤)؛ شلبي، احمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٢، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٢م، ج٥، ص٢٥١.

٥٢ –شيخ المحمودي: شرف الدين الخاصكي، تولي نيابة طرابلس ثم دمشق، وفي عام ٨١٥هـ/١٤١٢م ولى سلطنة البلاد المصرية، وبقي بها حتى وفاته عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م. للمزيد ينظر: ابن طولون، أعلام، ص٥٧٣.

٥٣ –القلقشندي، مآثر، ج٢، ص١٩٤.

٥٤ –عبد العزيز بن برقوق: الملك المنصور، ولي السلطنة بعد اختفاء أخيه الناصر فرج، استمرت سلطنته شهرين وثلث الشهر، وبعد عودة أخيه إلى الحكم أرسله إلى الإسكندرية واستقر بها. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء، ج٤، ص٢١٧.

٥٥ –بيبرس: بن عبد الله الظاهري، احد مماليك الظاهر برقوق، اعلن عصيانه للسلطان الناصر فرج فقبض عليه ،وسجن بالإسكندرية، حتى قتل عام ٨١١هـ/١٤٠٨م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، المنهل، ج٢، ص٤٨١.

٥٦ –ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٢١٣.

٥٧ –يشبك الشعباني: أحد مماليك السلطان الظاهر برقوق واتابك ابنه الناصر فرج، قتل على يد نوروز عام ٨١٠هـ/١٤٠٧م. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء، ج١٠، ص٢٧٩.

٥٨ –ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٢١٤.

٥٩ –أبو المحاسن، النجوم، ج١٣، (ص٧ – ص١١).

٦٠ –المقريزي، السلوك ، ج٦، ص١٤٨؛ النبراوي، رأفت محمد، السكة الإسلامية في مصر، ط١، القاهرة، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م، ص٤٩.

٦١ –ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص١٢؛ حسن، مصر في العصور الوسطى، ص٢٣٦.

٦٢ –التقى السلطان الناصر مع شيخ المحمودي في معركة اللجون فأنهزم الناصر واحتمى بقلعة دمشق فحاصره شيخ حتى تمكن من القبض عليه ،وقتله في السابع عشر من صفر من عام ٨١٥هـ/ ١٤١٢م. للمزيد ينظر: القلقشندي، مآثر الأناقة، ج٢، ص٢٠٥؛ الملطى، عبد الباسط بن خليل، (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، ط١،القاهرة،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٢١.

٦٣ –السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٦٥.

٦٤ –محمود بن علي: بن اصفر ، جمال الدين الاستادار، توفي بسبب التعذيب في خزانة شمائل عام ٧٩٩هـ/١٣٩٤م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، الدليل الشافي، ج٢، ص٧٢٧.

٦٥ –نظر دار الضرب: وتعد من الوظائف الدينية، وهنالك داران للضرب في مصر الأولى في القاهرة، والثانية في الإسكندرية. للمزيد ينظر: ابن

مماتي، اسعد، (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال، القاهرة، ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م، ص٣٣١؛ ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل، (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه بولس راويس، باريس، ١٣١٢ هـ/١٨٩٤م، ص٥١.

٦٦ –المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٧٤.

٦٧ –أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١١٢.

٦٨ –الاستادار: ومهمته التحدث في بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناة والحاشية والغلمان، ويقوم بالتصرف في كل ما يلزم بيت السلطان من نفقات وكساوي وما يجري مجرى ذلك للمماليك وغيرهم. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١.

٦٩ –الوزير: وتعد من اجل الوظائف، ويأتي صاحبها بعد السلطان مرتبة، ومهمته التحدث في المال. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج٤، ص٢٨.

٧٠ –ناظر الخاص: ومن صلاحياته النظر في خاص أموال السلطان، ونقل المباشرين، وله العديد من الموظفين والكتاب كمستوفي الخاص وناظر خزانة الخاص. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج٤، ص٣٠.

٧١ –المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٨.

٧٢ –المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٧٤.

٧٣ –ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٢٨.

٧٤ –السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٦.

٧٥ –المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٨٩.

٧٦ –والي القاهرة: ومهمته النظر في أمور القاهرة وضواحيها، ويتولى هذه الوظيفة من يكون بأمرة طبلخاناة. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج٤، ص٢٣.

٧٧ –ابن الطبلاوي: علي بن عبد الله بن محمد، ينتسب إلى قرية طبلاوة في الوجه البحري، صادر السلطان الناصر أمواله ونفاه إلى الكرك، مات مقتولا عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء، ج٥، ص٢٥٢.

٧٨ –ابن حجر، أنباء، ج١، ص٣٩٧.

٧٩ –المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٧٥.

٨٠ –السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٦.

٨١ –ابن حجر، أنباء، ج١، ص٤٨٩.

٨٢ –ابن قاضي شهبة، تقي الدين احمد، (ت٨٥١هـ /١٤٤٨م)، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، دمشق،١٣٩٩هـ/ ١٩٧٧م، ج٣، ص٥٥٣، ص٥٧٤.

٨٣ –اصدر السلطان الظاهر أوامره لابن الطبلاوي بمعاقبة محمود الاستادار وضربه بالمقارع اذا لم يدفع المبلغ كاملا، فتدخل ابن الطبلاوي بينهما حتى خفض المبلغ إلى مائة وخمسين الف دينار. للمزيد ينظر: المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٧٤؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٤٢.

٨٤ –وولي كذلك وظيفة مشير الخاص وناظر كسوة الحرمين الشريفين والأوقاف ، فضلا عما بيده من وظائف كالحجوبية والتحدث في الولاية. للمزيد ينظر: ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة،ج٣، ص٥٥٣، ص٥٧٤.

٨٥ –أبو المحاسن، النجوم، ج١٢، ص٥٤.

٨٦ –صدرت الأوامر باعتقال زوجة محمود الاستادار وابنه ناصر الدين الذي كان يلي نيابة الإسكندرية وسجنوا لأكثر من مرة للاعتراف عن الأموال الموجودة عند محمود الاستادار. للمزيد ينظر: ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٤٢٢.

٨٧ –المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٨٨.

٨٨ –عثر عند محمود الاستادار من الأموال ما يفوق الوصف، فوجد له مبلغ الف الف درهم فضة فحملت إلى السلطان، ثم وجد له مبلغ ستة آلاف دينار وأربعة وعشرون الف وخمسمائة درهم، ثم عثر له على خمسين الف دينار. للمزيد ينظر: المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٨٢.

٨٩ –الديوان المفرد: وهو من الدواوين التي أنشأها الفاطميون، ثم قام السلطان الظاهر بإعادة ترتيبه، وافرد له بعض البلاد ،وعين له المباشرين، ومنه تصرف نفقة المماليك ،والجامكيات ،والكسوة ،والعليق ،وغيرها، ويتولى إدارته الاستادار. للمزيد ينظر: القلقشندي ،صبح الاعشى ،ج ٣ ،ص٥٢٤ ؛ابن شاهين الظاهري، زبدة ،ص١٠٧.

٩٠ –الحمايات: وهي مكوس يفرضها السلطان او الامير على بعض الاراضي والمتاجر والمراكب والارزاق ،ويقوم الامير بحماية الشخص الذي يدفع هذا المكس . للمزيد ينظر :عاشور ،العصر المماليكي ،ص٤٠٩ .

٩١ –الجوامك: وهو الراتب المربوط لشهر أو اكثر . للمزيد ينظر :عاشور ،العصر المماليكي ،ص٤٠٤ .

٩٢ –الأدر الشريفة :وهي الاماكن الخاصة بسكن الخوندات ،أي الحريم السلطاني . للمزيد ينظر : ابن شاهين الظاهري، زبدة ،ص١٢١؛عاشور ،العصر المماليكي ،ص٣٨٨ .

٩٣ –ابن شاهين الظاهري ، زبدة ،ص١٠٧.

٩٤ –المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٨٨؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٧٤.

٩٥ –أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١٠٤.

٩٦ –المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٨٨؛ ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٤٨٣، ص٤٧٧.

٩٧ –المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٨٩.

٩٨ –أبو المحاسن، النجوم، ج١٣، ص١١٣.

٩٩ –أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١٠٤.

١٠٠ –كتعيين ابن الربعي في قضاء الإسكندرية بدلا من ابن الدماميني الذي عزل لسوء سيرته . للمزيد ينظر: المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤١٢.

١٠١ –يلبغا المجنون: بن عبد الله الناصري اليلبغاوي، مات قتيلا بقلعة حلب عام ٧٩٣ هـ/١٣٩٠م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، النجوم، ج١٢، ص٩٨.

١٠٢ –المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤١٢؛ ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٢١.

١٠٣ –المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤١٢.

١٠٤ –المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤١٣.

١٠٥ –سلم ابن الطبلاوي إلى يلبغا الاستادار لمحاسبته ،وليخبره عن أمواله المخبأة ،فأخرج من بيته اثنين وعشرين حملا ما بين سمور ،وغيره من أنواع الفرو، وثياب صوف ،ومائة وستون الف دينار، ثم اخذ من داره أيضا مبلغ خمسة وثمانون الف درهم ،ثم سجن في خزانة شمائل .للمزيد ينظر: ابن إياس، ج١، ق٢، (ص٤٩٧– ص٤٩٩).

١٠٦ –نظر الكارم: وهي من الوظائف الرفيعة تلحق في بعض الأحيان بالوزارة ، وفي أحيان أخرى تلحق بنظر الخاص، وفي بعض الأحيان تنفرد عنها

،ومهمة ناظرها التحدث على واصل التجار الكارمية من اليمن من أصناف البهار وأنواع المتجر. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج٤، ص٣٣.

١٠٧ –المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤١٦.

١٠٨ –ناظر الجيش: ووظيفته النظر في أحوال الجيش، وتوقيع التجريدات، والتحدث في الإقطاعات في مصر والشام والكشف عنها ،ومشاورة السلطان عليها ،وله العديد من الاتباع. للمزيد ينظر: السبكي، عبد الوهاب، (ت ٧٧١ هـ/١٣٦٩م)، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، ط١، القاهرة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ص٣٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣١.

١٠٩ –ابن الدماميني: شرف الدين محمد بن محمد المالكي توفي عام ٨٠٣ هـ/١٤٠٠م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، النجوم، ج١٢، ص٢٧٦.

١١٠ –المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤٢٨؛ ابن حجر، أنباء، ج٢، ص١٥.

١١١ –المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٨٩.

١١٢ –أبو المحاسن، النجوم، ج٢، ص٨٣.

١١٣ –بدر الدين محمد بن الطوخي: محمد بن محمد الوزير وزير الديار المصرية، توفي بطالا سنة ٨٠٧ هـ/١٤٠٤م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، الدليل الشافي، ج٢، ص٦٧٩.

١١٤ –المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤٣٥.

١١٥ –المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤٥٢.

١١٦ –ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٤٨.

١١٧ – أبو المحاسن، النجوم، ج١٢، ص١٦٨.

١١٨ –المقريزي، السلوك، ج٦، (ص٢٤ – ص٢٩).

١١٩ –السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٧٧؛ ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٤٣٧.

١٢٠ –يلبغا السالمي: سيف الدين بن عبد الله الظاهري برقوق كان كثير الظلم، مات خنقا بالإسكندرية عام ٨١١ هـ/١٤٠٨م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، الدليل الشافي، ج٢، ص٧٩٤.

١٢١ –ابن حجر، أنباء، ج٢، ص١٤٤.

١٢٢ –المقريزي، السلوك، ج٦، ص٧٥.

١٢٣ –وتمت محاسبة يلبغا وعوقب ثم افرج عنه. للمزيد ينظر: ابن حجر، أنباء، ج٢، ص١٤٤.

١٢٤ –المقريزي، السلوك، ج٦، ص٥٧، ص٦٣.

١٢٥ –المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٨٩.

١٢٦ –المقريزي، السلوك، ج٦، ص٧٤.

١٢٧ –كاتب السر: ومهمته قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها واخذ خط السلطان عليها وإرسالها. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠.

١٢٨ –فتح الدين فتح الله: بن مستعصم بن نفيس القاضي، ولد بتبريز، استمر بوظيفته حتى قبض عليه السلطان المؤيد شيخ عام ٨١٦ هـ/١٤١٣م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، الدليل، ج٢، ص٥١٩.

١٢٩ –السيوطي ، حسن المحاضرة، ج٢، ص٨٣.

١٣٠ –أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤٤.

١٣١ –أبو المحاسن، النجوم، ج١٣، ص٤؛ ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٢١١، ص٢١٩.

١٣٢ –عين الفخر بن المزوق بوظيفة كاتب السر. للمزيد ينظر: ابن حجر، أبناء، ج٣، ص٣٢٩؛ عز الدين، محمد كمال الدين، التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، ط١، دار اقرأ، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٣٢٠.

١٣٣ –المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٠٣.

١٣٤ –المقريزي، احمد بن علي، (ت٨٤٥ هـ/١٤٤١م)، إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ط٣، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٤٢؛ حسن، مصر في العصور الوسطى، ص٢٣٥.

١٣٥ –المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٠٣.

١٣٦ –السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٦.

١٣٧ –ابن حجر، أنباء، ج٢، (ص١٤٦ – ص١٤٧).

١٣٨ –الزمام: وهو الذي يتحدث على باب ستارة السلطان، وعادة ما يكون أمير طبلخاناة. للمزيد ينظر، القلقشندي، صبح ،ج٤، ص٢٢، ج٥، ص٤٥٩.

١٣٩ –تروجة: قرية بمصر من كور البحيرة من أعمال الإسكندرية. للمزيد ينظر: الحموي، معجم، ج٢، ص٤٤١.

١٤٠ –المثال: وجمعه مثلات، وهو ما يكتب من الأوراق الرسمية إيذانا بإعطاء احد المماليك إقطاعا من الإقطاعات الخالية . للمزيد ينظر: عاشور، العصر المماليكي، ص٤٤٦.

١٤١ –المقريزي، السلوك، ج٦، ص٦٧.

١٤٢ –سودون طاز: بن عبد الله احد مماليك السلطان الظاهر، توفي عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٤م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، المنهل الصافي، ج٦، ص١٣٢.

١٤٣ –المقريزي، السلوك، ج٦، ص٦٧.

١٤٤ –أبو المحاسن، النجوم، ج١٢، ص٢١٩.

١٤٥ –ابن حجر، أنباء، ج٢، ص١٠٨.

١٤٦ –ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص١٦٤.

١٤٧ –الشراب خانات: أي بيت الشراب ، وفيها مختلف أنواع الأشربة ومنها الأدوية التي يحتاجها السلطان . للمزيد ينظر، القلقشندي، صبح، ج٤، ص٩.

١٤٨ –المقريزي، السلوك، ج٦، (ص١٥ – ص١٦).

١٤٩ –الزردخاناة: وتعرف بالسلاح خاناة أي بيت السلاح الذي توجد فيه الدروع الزرد وأنواع السلاح. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج٤، ص١١.

١٥٠ –ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص١٦٤.

١٥١ –اينال باي: بن قجماس احد مماليك السلطان الظاهر برقوق، ولي وظائف عدة، قتل على يد شيخ المحمودي عام ٨٠٩ هـ/١٤٠٦م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، المنهل، ج٢، ص٢١٧.

١٥٢ –ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٢٠٥.

١٥٣ –ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٢٩٧.

١٥٤ –المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٤١.

١٥٥ –أبو المحاسن، النجوم، ج١٣، ص٢٥٨.

١٥٦ –ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٢١٤.

١٥٧ –ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٢٢.

١٥٨ –المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٤٨؛ كان سعد الدين وبالتعاون مع يشبك يطلعون السلطان بالأخبار يوما بيوم، لاسيما الأخبار التي تزيد من غضبه وحقده على الأشخاص المقربين منه كبيبرس واينال باي وغيرهم ممن خالف هواه هوى الأمير يشبك. للمزيد ينظر: ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣١٩.

١٥٩ –المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٩٠.

١٦٠ –رأس مشورة، ومهمته إحضار الخليفة وقاضي القضاة والوزير والأمراء ومقدمي الألوف واتابكتهم، لاستشارتهم في أي امر كلفه السلطان به. للمزيد ينظر: ابن شاهين الظاهري، زبدة، ص١٠٦.

١٦١ –إمرة مائة تقدمة ألف: وهي من اعلى مراتب الأمراء في عصر المماليك، وهي خاصة بأرباب السيوف، ويكون في خدمة صاحبها مائة مملوك، وفي أوقات الحرب يكون مقدماً على الف جندي من أجناد الحلقة. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج٤، ص١٤؛ عاشور، العصر المماليكي، ص٣٩٣.

١٦٢ –الكلوته: أو الكلفتاه، وهي طاقية تؤلف هيكل العمامة، وتلبس من قبل رجال الطبقة الرفيعة. للمزيد ينظر: دوزي، رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة اكرم فاضل، بغداد، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٣١٢.

١٦٣ –المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٥٠؛ ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٢٩؛ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٧٥٥.

١٦٤ –أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١١١.

١٦٥ –ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٧٥٥.

١٦٦ –أبو المحاسن، النجوم، ج١٣، ص١١٢.

١٦٧ –القولنج الصفراوي: بفتح اللام، هو مرض معوي مؤلم. للمزيد ينظر: الفيومي، احمد بن محمد، (ت٧٧٠هـ/١٣٥٠م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، د/ت، ج٢، ص٥١٨؛ مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د/ت، ج٢، ص٧٦٧.

١٦٨ –المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٩١.

١٦٩ –السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٦.

١٧٠ –أبو المحاسن، المنهل، ج١، ص١١١.

١٧١ –ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٢٢١.

١٧٢ –المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٩١؛ ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٢٢١.

١٧٣ –ابن حجر، أنباء، ج٢، ص٣٣٠.

١٧٤ –ابن حجر، أنباء، ح٢، ص١٤٦.

١٧٥ –ابن الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٢٠٥.

١٧٦ –القيراط: وهو جزء من أجزاء الدينار، ويعادل نصف عشره في اكثر البلاد، أما أهل الشام فيجعلونه جزءاً من أربعة وعشرون. للمزيد ينظر: الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، (٦٦٠هـ / ١٢٦١م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م، ج٤، ص٤٢؛ ويعادل نصف دانق. للمزيد ينظر: الفيومي، المصباح المنير، ج٢، ص٤٩٨.

١٧٧ –المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٧٢.

١٧٨ –المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٩١.

١٧٩ –السخاوي، الضوء، ج١، ص٦٧.

١٨٠ –الخانقاه: وهو البيت الذي ينقطع فيه الصوفية للعبادة والذكر. للمزيد ينظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د/ت، ج٢٥، ص٢٧٠؛ عاشور، العصر المماليكي ، ص٤١١.

١٨١ – جامع بشتاك : ويقع خارج القاهرة بخط قبو الكرماني على بركة الفيل ،بناه الامير بشتاك ،وانتهى منه سنة ٧٣٦هـ /١٣٣٥م.للمزيد ينظر :المقريزي ،الخطط ، ج٤ ،ص١١٠ .

١٨٢ –المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٨٩.

١٨٣ –السخاوي، عبد الرحمن، (ت٩٠٢هـ /١٤٦٩م)، الذيل على رفع الإصر، تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبح، مراجعة علي البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٤٢١هـ /٢٠٠٠م، ص٤٩٣.

١٨٤ –موسى بن أحمد بن موسى: بن عبد الله بن سليمان الشرف السبكي توفى سنة ٨٤٠هـ /١٤٣٦م. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء، ج١٠، ص١٧٦.

١٨٥ –السخاوي، الضوء، ج١٠،ص١٧٧.

١٨٦ –السخاوي، الضوء، ج٩، ص١٧٨.

١٨٧ –السخاوي، الضوء، ج٥، ص٢٠٣.

١٨٨ –محمد بن احمد بن معالي الشمس الحبتي: ولد سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م بدمشق، توفي سنة٨٢٥هـ/١٤٢٠م. للمزيد ينظر: أبو المحاسن، الدليل الشافي، ج٢، ص٥٩٥.

١٨٩ أمثال إبراهيم بن علي بن سليمان، ومحمد بن علي البالسي، وابن الزاهد محمد بن محمد بن عمر القاهري الذي كان مسؤولا عن خزانة الكتب، للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء، ج١، ص١٧؛ ج٩، ص١٧٨؛ الذيل ، ص٢٨٢.

قائمة المصادر و المراجع

أولا:- قائمة المصادر

ابن إياس ، محمد بن أحمد، (،(٩٣٠هـ / ١٥١٠م)

١- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

. الجزري ، أبو السعادات المبارك بن محمد (٦٦٠هـ/١٢٦١م)

٢ -النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق ، طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م .

. ابن حجر، احمد بن علي،(٨٥٢ هـ/١٤٤٨م)

٣-أنباءالغمر بأنباء العمر ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

٤-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان ، ط٢ ،مجلس دائرة المعارف العثمانية ،الهند ،حيدر آباد ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

. الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

٥-معجم البلدان، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، بيروت ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م .

. الحنبلي ، عبد الحي ، (ت ١٨٠١ هـ/١٦٧١م)

٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ط١ ، دمشق ، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٥م .

. ابن خلدون ، عبد الرحمن ، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

٧-تاريخ ابن خلدون ، صححه أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، الأردن ، عمان ، د/ت .

-الرازي ، محمد بن أبو بكر ،(ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م)

٨-مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

-السبكي ، عبد الوهاب ، (ت ٧٧١ هـ/١٣٦٩م)

٩-معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد علي النجار وآخرون ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ/١٩٤٨م

. السخاوي ، عبد الرحمن ،(ت٩٠٢هـ /١٤٦٩م)

١٠- الذيل على رفع الإصر ، تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبح ،مراجعة علي البجاوي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،١٤٢١هـ /٢٠٠٠م .

١١- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة الحياة، بيروت، د/ت.

. السيوطي ، عبد الرحمن ، (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)

١٢- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤م.

. ابن شاهين الظاهري ، غرس الدين خليل ،(ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م)

١٣- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، صححه بولس راويس، باريس، ١٣١٢ هـ/١٨٩٤م .

-الصفدي، صلاح الدين خليل،(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

١٤-الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث ،بيروت،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

. ابن الصيرفي ، علي بن داود ،(ت٩٠٠هـ /١٤٩٤م)

١٥- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

. ابن طولون ، محمد ، (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م)

١٦- أعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق محمد احمد دهمان ، دار الفكر ، دمشق ،١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م .
. العيني ، بدر الدين (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)
١٧-عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق إيمان شكري، ط١، القاهرة، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٤م
. الفيومي ، احمد بن محمد ، (ت ٧٧٠هـ /١٣٥٠م)
١٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د/ت .
-ابن قاضي شهبة ،تقي الدين احمد ،(ت٨٥١هـ/١٤٤٨م)
١٩-تاريخ ابن قاضي شهبة ،تحقيق عدنان درويش، دمشق ،١٣٩٩هـ/ ١٩٧٧م .
. القلقشندي ، احمد بن علي ،(ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م)
٢٠- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط٢، بيروت ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
٢١- مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار، احمد فراج، الكويت، ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤م.
. أبو المحاسن، جمال الدين يوسف، (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)
٢٢- الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق محمد فهيم شلتوت ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٢٩٩ هـ/١٨٨١م .
٢٣- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
٢٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.

. المقريزي ، احمد بن علي ، (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١م)
٢٥- إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ط٣، القاهرة، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م.
٢٦- الخطط المقريزية ، وضع حواشيه خليل المنصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٤١٨هـ/١٩٩٧م.م .
٢٧- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
-الملطي ،عبد الباسط بن خليل،(ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م)
٢٨- نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، ط١، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
. ابن مماتي ، اسعد ،(ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)
٢٩- قوانين الدواوين ،تحقيق عزيز سوريال ، القاهرة ، ١٣٦٢ هـ/١٩٤٣م .
. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ /١٣١١م)
٣٠- لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، د/ت.
ثانيا :- قائمة المراجع
- حسن، علي إبراهيم
٣١-مصر في العصور الوسطى ، القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.
دهمان ،محمد احمد
٣٢-معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م
. دوزي ، رينهارت
٣٣- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة اكرم فاضل ،بغداد ،١٣٩١ هـ/١٩٧١م .

. الزبيدي ،محمد مرتضى

٣٤-تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين ،دار الهداية ،د/ت .

-شلبي ،أحمد

٣٥ -موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٢، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م..

. الشوكاني ، محمد بن علي

٣٦-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، د/ت .

-ضومط ، أنطوان خليل

٣٧-الدولة المملوكية التاريخ والسياسي لاقتصادي والعسكري، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

. طرخان ، إبراهيم علي

٣٨-مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة ، ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩م.

. عاشور، سعيد عبد الفتاح.

٣٩- العصر المماليكي في مصر والشام ، ط١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥م .

. عز الدين ، محمد كمال الدين

٤٠- التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني ، ط١، دار اقرأ، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

. مصطفى، إبراهيم ، وآخرون

٤١-المعجم الوسيط ، تحقيق مجمع اللغة العربية ،دار الدعوة ، د/ ت .

. النبراوي، رأفت محمد

٤٢-السكة الإسلامية في مصر، ط١، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

Economic and Political Role of the Judge SAADULDEEN BN GHRAB (…- 808 A.H/ … - 1405 A.D)

the Judge SAADULDEEN BN GHRAB is the most important personalities that have a significant role of Political , Administrative and economic Side in Mamluk Circassians in the era of AL-SULTAN AL-DAHIR BARQOOQ (784A.H- 801 A.H / 1382A.D-1398A.D) and his son AL-SULTAN al-NASIR FARAJ (801A.D-815A.D/ 1398A.D-1412A.D) .

He is one of AL-AQBAT writers sons who wrote by his Intelligence, ambition and high efficiency to take a good offices in the State. AL-SULTAN AL-DAHIR BARQOOQ followed him in Sufer (798A.H-1395A.D) as an official of single Diwan to distribute the expenses of Mamluks, Gamkiat, cladding and blackberries. For his diligence and skill in his job, Sultan Al-Dahir added to him two jobs of a special official and the army after a brief period of taking the office of the Single Diwan official and SAADULDEN obtained a trust of AL-SULTAN which led to make him one of the guardians of his son AL-NASIR FARAJ (801A.H/ 1398A.D).

AL-SULTAN AL-NASIR much adopted of the judge SAADULDEEN BN GHRAB. Therefore, he gave him Stadiums job, adding to his jobs. He took the office of clerk who did not stay for a long time. AL-SULTAN exaggerated in honor him and granted him gifts and titles in many occasions.

The role of SAADULDEEN BN GHRAB is clear during the Sultan's keenness to resort and consult him if he faced a political or economic problems that he could not resolved it, especially the problems that are related to distribute the expenses of Mamluks. In some times, SADDULDEEN had to resolve these problems by paying from his own money or borrowing from close persons to cover the State expenses.

In addition to his political and economic works, he had righteousness works who made it for reward. He participated in building his country in the crisis, especially in epidemic done on (806 A.H/1403A.D) that learned him love of all people, he built Khanaqah and two schools which carried his name for the purpose of publishing science and knowledge.